

نزعة الاستعانة بالشيطان لدى الأكراد السوريين

عبد المنعم علي عيسى

الانخراط في مفاخرات إقليمية من النوع الخطر والأهم هو أنها تفوق أحجامه وقدراته.

تجهد ميليشيا «قوات سورية الديمقراطية - قسد» في الأشهر الأخيرة إلى تكريس حالة هي أقرب إلى «الأمر الواقع» وأخر تطوراتها هو ما شهده الشرق السوري منذ أواخر حزيران والرقة والقامشلي والهول، والراجح أن الأسابيع المقبلة سوف عندما عدت «قسد» إلى تشكيل مجالس عسكرية في العديد من مناطق سيطرتها مثل عين العرب وتل أبيض ومدينة الطبقة والفرقة والقامشلي والهول، والراجح أن الأسابيع المقبلة سوف تشهد تشكيل المزيد من تلك المجالس في سياق ترسيخ تلك الحالة، والجدير بالذكر هنا هو أن هذا المسعى يلقي دعماً سعودياً إماراتياً مطعماً بدعم أوروبي لكن هذا الأخير لا يزال حتى اليوم من الدرجة الثانية قياساً بالحالة السابقة إلا في حالته الفرنسية التي أظهرت منذ اجتماع المجموعة المصغرة الأخير في باريس ٢٤ حزيران الماضي استعداداً نحو منح الأكراد حيثية سياسية دولية اكتسب مشروعيتها بفعل الأمر الواقع.

تأتي التقارير التي نشرت جريدة الأخبار اللبنانية أبحاثها في ١٥ تموز الجاري ثم عاد وأكدها رجل الأعمال الإسرائيلي الأمريكي مردخاي كاهانا في اليوم التالي حول حصوله على تفويض «كردى» يتولى عبره تصدير النفط السوري إلى إسرائيل، في سياق تنامي نزعة «الاستعانة بالشيطان» لدى القيادات الكردية الماضية في مقامرة خطرة ستكون لها تداعيات بعيدة الأثر على المستويين المحلي والإقليمي، ولا يمكن بحال من الأحوال الوقوف عند نفي الرئيسة المشتركة لـ«مجلس سورية الديمقراطية - مسد» القائد أحمد لذلك الأمر سريعاً، فما جدوى ذلك النفي بعد أن كان القائد العسكري لـ«قسد» مطروم عبدي قد قال عبثية التصديق على «قانون واجب الدفاع الذاتي» مطلع هذا الشهر، إن «الدولة السورية من دون مناطق شمالي وشرقي سورية ستكون دولة فاشلة».

وفي قراءة تثبت هذا الواقع كانت تصريحات عبد الله أوجلان زعيم ومؤسس حزب العمال الكردستاني قبيل أن يتم اعتقاله شباط ١٩٩٩ والتي أدل بها للكاتب نبيل ملح وجمعها في كتاب بعنوان «سبعة أيام مع أبو» وصدر أواخر هذا العام الأخير، وأهم ما جاء فيها: «ليست هناك مشكلة كردية في سورية ولا أراضي تاريخية للأكراد فيها»، وفي حينها لاقت تلك التصريحات هجوماً كبيراً من الأحزاب القومية الكردية التي اتهمته بـ«مهانة» دمشق لاعترافها سياسياً وشخصية على الرغم من أنها كانت تأتي في سياق تاريخي وجغرافي صحيحين، آنذاك كانت أواسط الحزب قد أيدت وزادت في تأكيد تلك الوقائع قبل أن تشهد إيديولوجيات هذي الأخيرة حالة لا يمكن تسميتها سوى بانحرافية قل نظيرها ولسوف تكون لها تبعاتها الكبرى عليها لاحقاً، فمن كان يخمن أو يتنبأ بتحالف حزب يتبنى الماركسية منهجاً له أن يصبح حليفاً للولايات المتحدة بدرجة يطعم فيها أن ترقى إلى مصاف التحالف الأمريكي الإسرائيلي القائم منذ عقود، وفي الديموغرافيا يمكن الإشارة إلى دراسة نشرت عام ٢٠١٢ كان قد أجراها ١٠٧ باحثين من السوريين أكثر من نصفهم من الأكراد جاء فيها أن نسبة الأكراد في مدينة السكسة لا تزيد على ٣ بالمائة، ورأس العين هي ٢٨ بالمائة، القحطانية ٢٢ بالمائة، تل برak ٣٠ بالمائة، اليعربية ٦ بالمائة، البريادية ٢٣ بالمائة، تل حميس ٨ بالمائة، تل تمر ٤ بالمائة، المالكية ٢٣ بالمائة، وفي مناطق المحافظة الجنوبية مثل الشدادي ومركبة فإن الوجود الكردي يكاد يكون غائباً تماماً، أما في المعقل الأهم لذلك الوجود الذي تشكله مدينة القامشلي فنسبتهم لا تزيد على ٤٠ بالمائة فيها.

تهدف السردية السابقة إلى القول إن المشروع الكردي الانفصالي محكوم عبر عوامل التاريخ والجغرافيا بالفتل، لأنه ببساطة يسير عبر مسار معاكس للوقائع والحقائق وربما كان إدراك القيمين على هذا المشروع لهذي الأخيرة هو الذي يدفع بها نحو

أعقاب سقوط بغداد انطلاقاً من تفاهم قادت إليه واشنطن جري ما بين أربيل وأنقرة وهو يقوم على أمرين اثنين: أولهما أن يبقى تسلم إقليم الشمال العراقي تحت العين التركية فلا يغيب عنها أو عن إشاراتها بالرغز والقبول تحت أي ظرف كان، وثانيهما ربط الاقتصاد القائم في الإقليم بحيل مشيئة الاقتصاد التركي وتلك حالة كانت ضرورية تحسباً للمآلات التي قد تدفع بها التطورات المحتملة وربما أثبتت تلك الآلية كفاءتها فيما سيحدث لاحقاً، والراجح هو أنها لعبت دوراً أساسياً في رجحان كفة بغداد التي مضت نحو وأد فكرة انفصال الإقليم التي انهارت في كركوك تشرين الأول ٢٠١٧.

لا يتشابه الوجودان الكردي في الشمال العراقي والشرق السوري إلا بالقليل، وعلى الرغم من أن الأول حاول الاستعادة من حالة المد التي عاشها هذا الأخير ما بعد حصوله على وكالة حصرية للحرب على داعش من واشنطن بدءاً من عام ٢٠١٥ في مؤشر إلى تناغم الحركة الذي كان استفتاء الانفصال قد جاء في سياقاته، إلا أن تواتر الأحداث أثبت أن كلاً من المسألتين مختلفتان بحكم اختلاف التاريخ وعوامل الديموغرافيا اللتين انكسرتا ولا شك على طبيعة الحراك السياسي في كل من الجغرافيتين وهو ما ظهره الكثير من المعطيات.

عندما جرى توقيع اتفاقية «سيفر» في عام ١٩٢٠ لم يكن هناك وجود كردي يكتسب طابعاً ديموغرافياً في سورية، وهذا الأخير لم تظهر ملامحه إلا بعد ثورة الملا سعيد بيران على الأتاتورية في عام ١٩٢٥ حيث تسببت هزيمة بيران في موجات هجرة باتجاه الأراضي السورية والعراقية أيضاً، وهو ما ترصده وثائق الانتداب الفرنسي وكذا وثائق الحكومة السورية في تلك المرحلة وأهمها مذكرات محمد كرد علي الذي شغل منصب وزير المعارف وفي حينها قام الأخير بزيارة لدية الحسكة عام ١٩٢١ للوقوف على واقع تجمعات اللاجئين التي قال: إن «جمهرتهم من الأكراد».

تقتضي الواقعية القول إن الزلازل والبراكين التي تصيب المجتمعات كثيراً ما تكون فرصة لتبيان مدى تماسك، أو هشاشة، المكونات المجتمعية والسياسية للكائنات التي تصيبها تلك الحالة، حتى في المراحل المفصلية غالباً ما تسجل الأحداث وتواترها حالة فرز ذات دلالات مهمة على مستوى الأفراد والأحزاب والتيارات السياسية بشكل عام، وهي كلما ازدادت حدتها أو ضراوتها نشطت حركة الغريبال لكي تستطيع التعامل مع كامل المكونات الواردة إليها لتحديد نوعياتها وفرزها إلى زمر متناسقة.

يستتسخ الأكراد السوريون اليوم سيناريو ما شهدته شمالي العراق منذ ستينيات القرن الماضي وفيه ابنتي الملا مصطفى بارزاني علاقة وطيدة مع تل أبيب منذ عام ١٩٦٥، آنذاك كانت تلك العلاقة تأتي في سياق تلاقي مصالح إقليمية معقدة أيضاً، مثلها توجه جديد لدى الرياض التي كانت ساعية في تقدير استباقي ضاغطة على دورها الإقليمي الماضي في ركب هو على النقيض مما كان يضي فيه محور دمشق القاهرة الذي كانت بغداد تضي في أحايين عدة فيه، الأمر الذي دفع بها، أي بالرياض، نحو دعم حركة بارزاني الانفصالية بشتى أنواع الدعم، وكان طلب العلاقة مع تل أبيب يعود إلى قناعه لدى هذا الأخير بأن أمراً من هذا النوع كليل بشد واشنطن نحو خطوات خادمة لمشروعه، ثم مضى ذلك السيناريو نحو نصب الأفخاخ لبغداد بدءاً بدخول الحرب مع إيران بأيلول ١٩٨٠ مروراً بغزو الكويت في آب من عام ١٩٩٠ ثم وصولاً إلى تصوير نظام صدام حسين على أنه الشر المستطير تمهيداً لإسقاطه الأمر الذي حدث في نيسان ٢٠٠٣.

فيما بين المحطين الأخيرتين، استفاد الأكراد في شمالي العراق من خطأ إستراتيجي فادح ارتكبه القيادة العراقية عبر الفخ الثاني، الذي تلاه قيام منطقة حظر جوي فرضته قوات التحالف الدولية بقيادة الولايات المتحدة فوق الشمال، ثم تعمقت تلك الكيونة في

الهلال: ارتقت في البعد الإنساني إلى مستوى تجاوز البعد السياسي

«حزب البعث» يقيم احتفالاً مهيباً بدمشق بمناسبة الذكرى الـ٧٥ لإقامة العلاقات الدبلوماسية بين سورية وروسيا

المقداد: «إستراتيجية قولاً وفعلاً».. ويفيموف: روسيا لا تترك أصدقاءها أبداً في وقت المصائب



نائب وزير الخارجية والمغتربين خلال تصريحه له «الوطن»



سفير روسيا الاتحادية بدمشق ألكسندر يفيموف



الأمين العام المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي هلال الهلال

مازن جيور

خلال حفل استقبال مهيب، أقامته القيادة المركزية لحزب البعث العربي الاشتراكي، أمس، بمناسبة الذكرى الـ٧٥ لإقامة العلاقات الدبلوماسية بين سورية وروسيا، أكد خلاله الأمين العام المساعد للحزب هلال الهلال، أن العلاقة بين سورية وروسيا ليست علاقة عادية على الإطلاق فهي ارتقت في البعد الإنساني إلى مستوى تجاوز البعد السياسي، على حين وصف نائب وزير الخارجية والمغتربين فيصل المقداد، العلاقات بين البلدين بأنها «إستراتيجية قولاً وفعلاً»، في وقت اعتبر السفير الروسي لدى دمشق، ألكسندر يفيموف أن الطبيعة الحقيقية للعلاقات الروسية السورية ظهرت بشكل واضح جداً عندما وجدت سورية نفسها وجهاً لوجه مع التهديد الإرهابي، مشدداً على أن روسيا «لا تترك أصدقاءها أبداً في وقت المصائب».

وحضر الحفل الاستقبال الحاشد الذي أقيم في فندق داما روز وسط دمشق، كل من الأمين العام المساعد لحزب البعث، وعدد من أعضاء القيادة المركزية للحزب، ورئيساً مجلس الشعب حمودة الصباغ، ومجلس الوزراء عماد خميس، ونائب رئيس الجبهة الوطنية التقدمية اللواء محمد إبراهيم الشعار، ووزراء الدفاع والنفط والثروة المعدنية والإدارة المحلية والتجارة الداخلية وحماية المستهلك والتنمية الإدارية والنقل والموارد المائية والصحة، ونائب وزير الخارجية والمغتربين، فيصل المقداد، إضافة إلى عدد من أعضاء مجلس الشعب وعدد من ضباط القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة، وحشد من الشخصيات

السورية. كما حضر الحفل سفير روسيا الاتحادية بدمشق، وعدد من أفراد البعثة الدبلوماسية الروسية، وضباط الجيش الروسي، إضافة إلى عدد من سفراء الدول العربية والأجنبية وأعضاء في البعثات الدبلوماسية في سورية.

روسيا أول من أسس تأسيساً صحيحاً للمنطقة

في كلمة له خلال الاحتفال نقل الأمين العام المساعد لحزب البعث إلى الحضور تحية ومحبة الرئيس الأسد ومن ثم تحدث عن تاريخ تطور العلاقات السورية الروسية، لافتاً

إلى أنه اليوم وفي هذه الحرب الكونية التي نخوضها معاً ارتقت العلاقة بين البلدين إلى مصاف «الأصدقاء».

وأوضح «نحن نخوض هذه الحرب معاً. حرب ضروس لم يرى لها التاريخ مثالا على الإطلاق نخوضها بكل إباء بكل قوة وبشجاعة ولننطق ولنلقن هؤلاء المجرمين أن التعاون والمحبة والصداقة الحقيقية التي تؤسس تأسيساً صحيحاً مؤثرياً أكلها بكل قوة وبسالة»، مؤكداً أن هذه الحرب الضروس تجر أذيال الهزيمة والخزي.

ولفت إلى أن فترة العلاقة بين البلدين «هي فترة ليست بسيطة على الإطلاق لكنها كانت دائماً منقذة تسير بخطا ثابتة وتنقل بقوة من مرحلة إلى مرحلة بنبات ورغم تبدل كل الظروف كانت هذه العلاقة دائماً في حالة تقدم دائم نحو الأفضل ونحو مكانة أعلى وهذا إن دل على شيء يدل على أن الشعبين في كلا البلدين مؤمنين بهذه العلاقة الحميمة حقاً».

وأضاف: «الآن إذا قلنا إن العلاقة بين سورية وروسيا ليست علاقة عادية على الإطلاق، فقد ارتقت في البعد الإنساني إلى مستوى تجاوز البعد السياسي من الصداقة المشتركة المبنية على أسس متينة جداً»، لافتاً إلى أن هذه العلاقة استندت إلى موروث كبير من الثقافة والتاريخ

«وهنا يكمن سر هذه العلاقات وسموها الذي نراه».

ويعد أن تحدث الهلال عن الدعم الذي قدمه الأصدقاء الروس لسورية في حرب تشرين التحريرية وبالتالي كان النصر فيها وشركاؤها الحقيقين فيه هم أصدقاءنا الروس، لافتاً إلى أن الأصدقاء الروس ما زالوا يقدمون دعمهم لكن تحت ظل قيادة القائد العظيم بشار الأسد وفلاديمير بوتين.

«هذا التعاون يؤتي نتائج، يؤتي أكله، يؤتي ثماره، البيض ربما لمخلطة من اللحظات يعتبرها حرباً عادية وأنتم تدركون أنها حرب لا مثل لها على الإطلاق.. لذلك فهذا الانتصار الذي يتحقق اليوم في كل بقعة من بقاع الوطن هو ليس انتصاراً سورية فقط هو انتصار للإنسانية انتصار لكل شرفاء الأمة انتصار للعالم».

وشدد الهلال على أن روسيا هي أول من أسس تأسيساً صحيحاً للمنطقة وبعيداً عن المصالح الشخصية»، مضيفاً: «لذلك نقول دائماً وأبداً إننا في محور الحق، محور الصدق». وشدد الهلال على أن «كل ذرة تراب سوف تعود إلى أرض الوطن بكل الوسائل إما حرباً أو سلماً وبالتالي سورية سوف تبقى كما هي، أما المراهون على أعداء الأمة فقول لهم أنتم وأممون عودوا إلى حضن الوطن عودوا إلى سوريا لأنه لن يحميكم سوى سورية ولن يحميكم سوى هذا الوطن وبالتالي في أول مفتقر طرق سوف يبيعوكم في سوق النخاسة وهذا ما عملوه سابقاً كثيراً وبالتالي لا نراهموا عليهم».

مثال يحذرن به في العلاقات الدولية

بدوره نائب وزير الخارجية والمغتربين، وفي كلمة له خلال الحفل أكد المقداد أن العلاقات بين بلدينا «علاقات

إستراتيجية ومميزة منذ قدم التاريخ وفي ظل مختلف الحكومات والأنظمة السياسية سواء الروسية منها أو في إطار الاتحاد السوفيتي».

وقال: يشرفنا أن تكون شهوداً عليها وهي ترى مزيداً من التعقق والثبات بقيادة الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية والرئيس فلاديمير بوتين رئيس الاتحاد الروسي، حيث أصبحت علاقات إستراتيجية قولاً وفعلاً وتجسد بامتزاج دماء شهدائنا السوريين والروس في معارك البطولة والشرف والكرامة في حربنا المشتركة على الإرهاب الدولي».

وأشار المقداد إلى أن سورية والاتحاد الروسي بقيادة الرئيسين الأسد وبوتين يسطران سفيراً سيسجله التاريخ بحروف من الذهب لأن العلاقات التي تم بناؤها ستصبح مثلاً يحتذى به في العلاقات الدولية، وستظهر أن هذا التحالف بين بلدينا سيفجر طاقات جديدة لدى شعوب العالم التي أصبحت تنظر إلى هذه العلاقات على أنها مثلاً

لهدف المنشود وبديلاً لا غنى عنه لشعوب العالم للحفاظ على استقلالها وسيادتها، وللدفاع عن مبادئ العدل والسلام والمساواة والقانون.

وأكد المقداد أن العلاقات الدبلوماسية التي نشأت بين بلدينا في رحم الانتصارات التي حققها الجيش السوفيتي في الحرب العالمية الثانية على النازية وأدواتها تؤكد أن وقوفنا المشترك الآن ضد النازية الجديدة التي تمثلها داعش وجبهة النصرة ومن يدعمهما من إرهابيين في الولايات المتحدة وأوروبا وحدنا دائماً عبر الأزمنة وفي الظروف الصعبة، وتثبت مرة أخرى أن الصداقة لا تقوم فقط على المصالح المشتركة، ولا تقوم فقط على المبادئ الانتهازية، ولا تقوم فقط على خدمة مصالح مؤقتة لازمة بل إن الصداقة الحقيقية هي التي تستمر وترسخ طيلة العصور والأزمنة ولا تخضع للتقلبات السياسية والضغط الرخيص التي تراها تتراكم في علاقات الولايات المتحدة الأمريكية مع حلفائها الذين لا تستخدمهم إلا لابتزاز أموالهم وسرقة شعوبهم.

وأكد المقداد، أن الأوساط التي يعرفها كل العالم تحاول بدعمها للإرهابيين والقتلة إطالة الحرب الإرهابية على سورية خاصة بعد فشلها وفشل أدواتها من الإرهابيين والقتلة في تحقيق أي شيء يذكر في حربهم على سورية وذلك نتيجة للانفصال الشعب السوري حول قائده الرئيس الأسد وضمود جيش سورية الأبي والعصي على الإرهاب في وجه هذه المؤامرة التي لم تشهد سورية والعالم لها مثيلاً لها، مشيراً إلى أنهم قد فشلوا وفشلت في مقدمتهم «إسرائيل» التي قادت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاءها الغربيين في هذه الحرب المدمرة على سورية.

ووجه المقداد رسالة واضحة لا لبس فيها إلى كل من تسول

له نفس بالاستمرار في خدمة أهداف «إسرائيل» في شمال

شرق سورية وفي إبدل بأن يتوقف قبل قوات الأوان،

فسورية رقم صعب عصي على الأعداء كما هو عصي على

التقسيم والنهب.

وأضاف: «لن أزع هذه المناسبة تمر دون التوجه إلى أبطال الجيش الروسي وقياداتهم بالامتنان والاعتراف بتفانيهم في مشاركتنا في الانتصارات التي حققناها وكذلك في الانتصارات القادمة التي سنضع من خلالها نهاية للإرهاب ولأحلام الإرهابيين ومن دعمهم ومازال يدعمهم».

واختتم المقداد بالقول: إن مرور خمسة وسبعين عاماً على العلاقة الإستراتيجية بين سورية والاتحاد الروسي والتي نحتج بامتياز في امتحانات الزمن وأفشلت كل خطط من اعتقد أن استعمارها لسورية وغيرها من الدول العربية سيستمر إلى الأبد هي علاقة لن نسبح لأحد بأن يمسه».

صعدت في اختبار الزمن

من جانبه قال السفير الروسي لدى سورية في كلمة له إنه «إذا التقننا إلى التاريخ يمكننا أن نتأكد أن السنوات الماضية لم تفت دون جدوى، فقد صمد التعاون الروسي السوري في اختبار الزمن وما زال يتمتع بالقدرة النخمة للاستفادة منها في التطور اللاحق لمصلحة دولتنا وشعبينا».

وأوضح السفير الروسي أن سورية كانت ولا تزال أحد أهم الشركاء والحلفاء لروسيا في منطقة الشرق الأوسط، لافتاً إلى أن موسكو قدمت دعمها لسورية بشكل دائم في أصعب لحظات تاريخها.

وأوضح أنه في القرن الحادي والعشرين ربطت روسيا وسورية علاقات تعتمد على التفاهم والثقة، مشيراً إلى أن سورية في اختبار الزمن وما زال يتمتع بالقدرة النخمة للاستفادة منها في التطور اللاحق لمصلحة دولتنا وشعبينا».

وأوضح السفير الروسي أن سورية كانت ولا تزال أحد أهم الشركاء والحلفاء لروسيا في منطقة الشرق الأوسط، لافتاً إلى أن موسكو قدمت دعمها لسورية بشكل دائم في أصعب لحظات تاريخها.

وأوضح أنه في القرن الحادي والعشرين ربطت روسيا وسورية علاقات تعتمد على التفاهم والثقة، مشيراً إلى أن سورية في اختبار الزمن وما زال يتمتع بالقدرة النخمة للاستفادة منها في التطور اللاحق لمصلحة دولتنا وشعبينا».

وأوضح السفير الروسي أن سورية كانت ولا تزال أحد أهم الشركاء والحلفاء لروسيا في منطقة الشرق الأوسط، لافتاً إلى أن موسكو قدمت دعمها لسورية بشكل دائم في أصعب لحظات تاريخها.

وأوضح أنه في القرن الحادي والعشرين ربطت روسيا وسورية علاقات تعتمد على التفاهم والثقة، مشيراً إلى أن سورية في اختبار الزمن وما زال يتمتع بالقدرة النخمة للاستفادة منها في التطور اللاحق لمصلحة دولتنا وشعبينا».

وأوضح السفير الروسي أن سورية كانت ولا تزال أحد أهم الشركاء والحلفاء لروسيا في منطقة الشرق الأوسط، لافتاً إلى أن موسكو قدمت دعمها لسورية بشكل دائم في أصعب لحظات تاريخها.